موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

الشَّرْحُ الْمُخْتَصَرُ

عَلَىٰ

سِتَّةِ أُصُولٍ عَظِيمَةٍ مُفِيدَةٍ جَلِيلَةٍ

لفضيلة الشّيخ

عبد الرَّزَّاق بن عبد المحسن العبَّاد البدر

حفظهما الله تعالىٰ

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقــدِّمَة الشَّـــارِح

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ..

فإنَّها لفُرصة طيِّبة لألتقي بإخواني في الله في بيت من بيوت الله لنتدارس شيئًا من دين الله، ولنتعلَّم شيئًا من المَسائل الشَّرعية والأصول العظيمة التي ينبغي لكلِّ مسلم أن يُعنىٰ بضَبطها وتحقيقها وتكميلها والإتيان بها علىٰ أحسن وجه.

إنَّ موضوع هٰذه الكلمة هو مع أصول ستَّة عظيمة للشَّيخ الإمام شيْخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالىٰ.

وأنا لا أزيد علىٰ قراءة هٰذه الأصول التي جمعها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وربّما أستشهد لكلامه بآيات من كتاب الله وأحاديث من سنَّة رسوله ﷺ.

وهٰذا الإمام العظيم، والعَلَم الكبير مجدِّد الإسلام، شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ له جهود لا يجهلها كلّ مسلم، له جهود جبَّارة وله أعمال كثيرة في نشر العقيدة وبيان السُّنَّة، ولهٰذا مثل هٰذا الإمام العَلَم والإمام الكبير ينبغي لكلِّ مسلم أن يُعنىٰ برسائله وكُتبه ومسائله الكثيرة التي جمعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولقد كان النَّاس في هٰذه البلاد وغيرها يُعنَوْن عناية كبيرة ويهتمُّون اهتمامًا بالغًا بكتب هٰذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل كانت بعض كُتبه ورسائله يُعنون بتحفيظها للعوام فضلًا عن طلبة العلم؛ فمثلا الأصول الثَّلاثة كتب فيها شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب رسالة صغيرة مختصرة خاطب بها العوام، وكانوا يحفظونها عن ظهر قلب، وكان أئمة المساجد يحفِّظونها العوام ويختبرونهم فيها في كلِّ وقت لأهمِّيتها.

فهٰذا الإمام العَلَم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالىٰ كان يُعنىٰ بجمع الأصول المتفرِّقة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، كما كان يُعنىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإيراد الدَّليل علىٰ كلِّ أصل من هٰذه الأصول من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولقد بارك

اللهُ كثيرًا في دعوة هٰذا العَلَم الإمام، وكتب الله فيها خيرًا كثيرًا، وانتفع بها خلق كثير داخل هٰذه البلاد وخارجها.

حتَّىٰ هٰذه البلاد كان فيها قبل زمن هٰذا الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالىٰ عبادة للقبور ودعاء لغير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وسؤال الأشجار والأضرحة، فبارك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بدعوة هٰذا الرَّجل ونفع بها النَّفع الكبير حتىٰ أفادت هٰذه الدَّعوة الأمَّة وانتشرت في الآفاق.

ولقد رأينا في الهند وفي مناطق كثيرة أثر دعوة هٰذا العَلَم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولا يزال النَّاس في هٰذه البلاد وخارجها يُعنون برسائل هٰذا الإمام، يُعنون بحفظها، كم نعرف من الشَّباب الذين يحفظون كتاب التَّوحيد والَّذين يحفظون الأصول الثَّلاثة والَّذين يحفظون كشف الشُّبهات، ويحفظون غير هٰذه الكتب من كتب هٰذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالىٰ الرَّحمة الواسعة.

فكان من ميزات هٰذا الإمام في كتاباته ومؤلَّفاته ورسائله تسهيل العلم وتيسير فهمه وجمع متفرِّقِه والعناية بأصوله، فكان يُعنىٰ بذلك عناية فائقة، وله رسائل متفرِّقة في ذلك مثل: القواعد الأربع والأصول الثَّلاثة وكشف الشُّبهات وكتاب التَّوحيد.. ورسائل عديدة كان يبعثها إلىٰ العلماء وإلىٰ الدُّعاة وإلىٰ الأمراء وإلىٰ جهات عديدة يذكِّرهم بالله ويبيِّن لهم العقيدة والسُّنَّة، ونصح النُّصح الكبير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالىٰ الرَّحمة الواسعة.

وله حقٌّ علينا كبير أن ندعو له؛ لأنَّ «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[1]، فله حقٌّ علينا أن ندعو له، وكذلك أن نُعنىٰ بدراسة كُتبه المشتملة علىٰ آياتٍ من كتاب الله وأحاديث من سنة رسوله ﷺ.

بل كان -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كثير من كتبه عندما يعقد الباب أو التَّرجمة لبيان مسألة من مسائل العقيدة يقتصر في ذكر الباب علىٰ الآيات القرآنية والأحاديث النَّبوية ليس إلَّا، ولا يكون له في الباب كلام، إمَّا يجمع في الباب آيات وأحاديث وآثار السَّلف كما صنع في كتابه العظيم كتاب التَّوحيد الذي نفع الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ به النَّفع الكبير.

وكما تعلمون أنَّ هٰذا الإمام الكبير والعَلَم الجليل بُثَّ ضدَّه في أماكن متفرِّقة دعاياتٍ فاسدة، وأصبح أعداؤه يَنْشُرون الأسماء المتفرِّقة والألقاب الكثيرة للتَّقليل من شأن دعوته أصبح كل إنسان يتمسَّك بالعقيدة الصَّحيحة والسُّنَّة القويمة التي بيَّنها هٰذا الإمام ووضَّحها ونشَرَها واستدلَّ لها بكُتُبه أصبح يُطلق عليه بأنَّه وهَّابي، ويقصدون بهٰذا اللَّقب التَّشنيع علىٰ من يتَّبع هٰذا العلمَ والإمامَ، وكان كثير من هٰؤلاء

(١) أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقع فيه ويثْلبه ويقع في سبِّه وشتمِه، وهو لا يعلم حقيقة هٰذا الرَّجل، ولا يعلم حال هٰذا الرَّجل، ولا يعلم ما يدعو إليه هٰذا الرَّجل.

كلُّكم يعرف قصَّة الشَّيخ عبد الله القَرْعاوي عندما ذهب إلىٰ الهند وكان يدرس علىٰ رجل من علماء الحديث، فكان هٰذا الرَّجل أوَّل ما يبدأ درسه في مجلسه يبدؤه بشتم شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب، يبدؤه بلعنه ولعن طلَّابه وتلاميذه وأتباعه، يفتتح الدَّرس بذلك ثم يبدأ بالدَّرْس وهو محدِّث، فكان الشَّيخ عبد الله القرعاوي -والقصَّة متواترة- يجلس في حلقة هٰذا الرَّجل ويعرف أنَّه من أهل الحديث وأن عقيدته وعقيدة الشَّيخ واحدة؛ ولكن هٰذا الرَّجل بسبب الدِّعايات الكاذبة والدِّعايات الفاسدة أصبح يقع فيه، فماذا كان منه؟ كان منه أن جاء إلىٰ كتاب التَّوحيد لشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ ونزع غلاف الكتاب الذي عليه اسم المؤلف، ثم جاء به إليه وقال: أنا طالب الطُّلاب وأريد أن تقرأ لي هٰذا الكتاب وتنظر في حقيقته وفي حاله، هل هو صحيح أو غير ذلك، وإذا كان عليه ملاحظات تبيِّنها حتىٰ أحذر من هٰذا الكتاب، فأخذ هٰذا الشَّيخ كتاب الشَّيخ -كتاب التَّوحيد- وقرَأَه كاملًا ثُمَّ أُعجب به إعجابًا كبيرًا، وقال: إنَّ نَفَسَ هٰذا المؤلِّف كنَفَس الإمام البُخَاري في الصَّحيح، وأُعجب بالكتاب كثيرًا وأخذ يُثني عليه، وقال لعبد الله القرْعاوي: من مؤلِّف هٰذا الكتاب؟ فلم يشأ أن يذكر له مباشرة أن هٰذا كتاب للشَّيْخ محمَّد بن عبْد الوهَّاب الذي تقع في سبِّه وشتمه، إنَّما قال له: نذهب إلىٰ مكتبةٍ ونعرض علىٰ صاحبها هٰذا الكتاب لعلَّنا نعرف من خلالها اسم المؤلِّف، وذهبا معًا إلىٰ مكتبة وعرضَا الكتابَ علىٰ صاحب المكتبة، ثم بعد ذلك تبيَّن لـهٰذا الشيخ أنَّ مؤلِّف هٰذا الكتاب شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالىٰ، بعد أن كان يسبَّه ويشتمه انقلب من يومه يدعو له و يترحَّم عليه ويبين فضله وينشر محاسنه.

وهٰذا نأخذ منه فائدة -نحن طلبة العلم وطلبة الحق-، نأخذ منه فائدة مهمَّة وجليلة ينبغي للمُسلم أن يتثبَّت فيما يُنقل له من أخبار عن إخوانه المُؤمنين، ولا يقع في إخوانه مجرَّد السَّماع، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- أمر بالتثبُّت والتَّبَيُّن والتروِّي لمعرفة الأخبار، ليس هو مجرَّد أن قيل: فيه كيْت وكيت، يقع في سبِّه أو شتمه وثلبه أو الدُّعاء عليه أو نحو ذلك، فينبغي أن يُتثبَّت إن كان له كتب قرأها، إن كان له أشرطة سمعها، أو ليدع ذلك إن كان طالبًا صغيرًا لأهل العلم.

فهٰذا حقيقة نأخذ منه فائدة، هٰذا رجل محدِّث يعتني بالحديث ويقع في الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب ويلعنه ويشتمه ويبدأ كلَّ درس بذلك.

هٰذا فيه -حقيقةً- عبرة وعظة لكلِّ مسلم، فالدِّعايات هي التي تفرِّق صفَّ المُسلمين وتمزِّق شمْلهم

وتنشر بينهم التَّباغض والتَّدابر.

إنِّي بهٰذه المناسبة أدعو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- أن يجمع قلوبَنا جميعًا علىٰ طاعته، وأن يجمع قلوبنا علىٰ محبَّة رسوله ﷺ واتِّباع سنَّته وأن يجمعنا كذلك في جنَّته كما جمعنا في بيته المبارك هٰذا.

موضوع هٰذه الكلمة هو ستَّة أصول لـهٰذا العَلَم العظيم، هٰذه السِّتّة أُصول طُبعت في كُتب في عديدة:

طبعت مع مجموعة التَّوحيد.

وطبعت مع مجموعة مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي نشرت في جامعة الإمام محمد بن سعود.

وطبعت مع الدُّرر السنية..

طبعت في عدة أماكن، وهي رسالة صغيرة تقع في صفحتين؛ ولٰكنّ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع فيها ستّة أصول عظيمة مفيدة جليلة أخذها من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وينبغي لطلبة العلم أن يُعنوا بهٰذه الأصول العظيمة.

عنون لهٰذه الأصول بقوله: (**سِتَّةُ أُصُولٍ عَظِيمَةٍ مُفِيدَةٍ جَلِيلَةٍ**) وهو يشير بهٰذا إلىٰ أنَّ هٰذه الأصول عظيمة جليلة في نفسها، مفيدة ونافعة لقارئها والمطَّلع عليها والمنتفع بها، ستَّة أصول عظيمة نافعة جليلة.

المُقدِّمَـــــــة

مِنْ أَعْجَبِ العَجَائِبِ(١) وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ(٢) عَلَىٰ قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ؛ سِتَّةُ أُصُولٍ بيَّنَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّهُ(٣) الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَٰذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

---

(١) في الجامع الفريد (ط١٤٢٠): (العُجَاب).

(٢) في الجامع الفريد: (الدَّالَّةِ).

(٣) في الجامع الفريد: (يَظُنُّ).

مَوْقِعُ التَّفْرِيغ للدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَالبُحُوثِ الشَّرْعِيَّةِ
www.attafreegh.com
سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

الشَّـــرْحُ

فهٰذه الأصول السِّتَّة التي هي دالَّة علىٰ قُدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وهي آية من الآيات الدَّالَّة علىٰ عظيم قدرته -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أنَّه -جلَّ وعلا- بيَّن ستَّةَ أُصول عظيمةٍ في كتابه بيانًا شافيًا وافيًا يفهمه العوام، فضْلًا عن طلبة العلم، فضلًا عن العُلماء، ومع ذلك غلط فيها كثير من أذكياء العالم.

وهنا نأخذ فائدة مهمَّة أنَّ ذكاء الإنسان وحده وفطنته لا يكفي، ولهذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عن الفلاسفة: (أوتوا ذكاء ولم يؤتوا زكاء).(1) فالذَّكاء وحده لا يكفي، فلابدَّ مع الذَّكاء أن يرتبط بالكتاب والسُّنَّة وبالفقه بالكتاب والسُّنَّة والانطلاق من كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

(غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ) القليل كما قال تَعَالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾(2) فالقليل هم الَّذين هداهم الله ووفَّقهم لضبط هٰذه الأصول والقيام بها علىٰ أحسن وجه.

أمَّا سوىٰ هٰؤلاء فما الَّذي حصل لهم؟ أمَّا سوىٰ هٰؤلاء فالَّذي حصل لهم أنَّه حالَ بينهم وبين القيام بهٰذه الأصول السِّتَّة أو القيام ببعضها شبه وأهواء وأشياء حالت بينهم وبين فهمها وضبطها.

۞۞۞۞

(1) آخر الرِّسالة الحموية، (مجموعة الفتاوىٰ (م٣/ ج٥/ ص٧٨، ط: دار الجيل)، وتمام العبارة: أُوتوا ذكاء وما أُوتوا زكاء، وأُعطوا فُهوما وما أُعطوا عُلوما، وأُعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة.

(2) سورة: سبأ.

الْأَصْلُ الْأَوَّل

إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَٰذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّة؛ ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الْأُمَّة مَا صَارَ، أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرُ فِي حَقِّهِم[1]، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِم.[2]

---

(١) في الجامع الفريد (حُقُوقِهِمْ).

(٢)في الدُّرر السَّنية: (أتباعهم) أي: أتباع الصَّالحين.

مَوْقِعُ التَّفْرِيغِ
لِلدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَالبُحُوثِ الشَّرْعِيَّةِ
www.attafreegh.com

الشَّـــرْحُ

هٰذا الأصل الأوَّل: إخلاص العلم لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- والحذر والبعد من الشِّرك، هٰذا الأصل الذي بدأ به شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- هو أصل الأصول وأعظمُها وأنفعها علىٰ الإطلاق؛ إخلاص العمل لله والحذر من الشِّرك.

إخلاص العمل لله أن تكون عبادة الإنسان من صلاة وزكاة وذبح ورجاء وخوف ونذر وتوكّل واستغاثة.. وغير ذلك، أنَّ كون ذلك كلِّه خالصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، والخالص هو الصَّافي النَّقي الذي لا شائبة فيه، ليس فيه شائبة شرك، وليس فيه شائبة رياء، وليس فيه شائبة سُمعة، إنَّما يبتغي به صاحبه وجه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، فإذا دعا أخلص الدُّعاء له، وإذا توكَّل أخلص التوكُّل لله، وإذا خاف أخلص الخوف من الله، ويصرف العبادة كلَّها لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، لا يسأل غير الله، ولا يستغيث إلَّا بالله، ولا يعتمد إلَّا علىٰ الله، ولا يفوِّض أمورَه كلّها إلَّا لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

الخالص هو الصَّافي النَّقي، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصًا لوجهه مطابقًا لسُنَّة نبيِّه ﷺ، قال تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(1) وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾(2) وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(3) ويقول ﷺ: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**(4).

وهنا مسألة ينبغي أن نتنبَّه لَهَا، وهي مهْما كانت منزلتُنا في العلم، ومهما كانت درجتُنا في الطَّاعة والعبادة، فإنَّه ينبغي علينا -عباد الله- أن نتواصىٰ كثيرًا بالتَّوحيد، أن نتواصىٰ كثيرًا بتوحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وأن نُحذِّر أنفسنا دائمًا من الوقوع في الشِّرك كبيره وصغيره، ومن أدلَّة ذلك قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عن إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾(5) وهو نبيٌّ وأبناؤه إسماعيل وإسحاق أنبياء ويدعو بهٰذا الدُّعاء العظيم ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ

(١) سورة: البينة، الآية (٠٥).

(٢) سورة: الزمر، الآية (٠٣).

(٣) سورة: النِّساء، الآية (٤٨) وأيضًا الآية (١١٦).

(٤) أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللهُ (ح٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) سورة: إبراهيم عليه السلام.

﴿ٱلْأَصْنَامَ﴾، ويقول -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عن يعقوب عليه السلام: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾[1] فالوصية بالتَّوحيد والتَّواصي بالتَّوحيد هٰذا من أهمِّ المطالب ومن أعظم المقاصد التي ينبغي أن تنتشر بين أهل العلم وطلَّابه، بين أهل العقيدة والسُّنَّة في كلِّ مناسبة يتواصَون بتحقيق العبادة وإخلاصها لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

المؤلف رحمه الله لمَّا نبَّه علىٰ أهمية الإخلاص أشار إلىٰ معرفة ضدِّه قال: (**وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ**) وهو من باب قولهم:

..... وبضدِّهَا تتبيَّنُ الأشياءُ[2]

..... والضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ[3]

إذا أراد الإنسان أن يعرف حُسن النُّور لينظر إلىٰ قُبح الظُّلمة، إذا أراد أن يعرف حسن الهداية فلينظر إلىٰ قبح الضَّلال، إذا أراد أن يعرف حسن البر فلينظر إلىٰ قبح القطيعة (بضدها تتميز الأشياء).

فالعقيدة الصَّحيحة الصَّافية الخالصة التي يحبُّها الله ويرضاها لابدّ من الإتيان بها علىٰ أكمل وجه وأحسن حال، لابد مع ذلك من معرفة الشِّرك لأيِّ شيء؟ من باب كما يقولون:

عرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لٰكِنْ لِتَوَقِّيهِ

وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

ولهذا جاء في الصَّحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (**كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير وكنتُ أسأله عن الشَّرِّ مخافة أن يُدركَني**)[4].

ويقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: (**إنَّما تُنقض عُرَىٰ الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسْلام من لم يعرف الجاهليَّة**)[5].

ولهٰذا كثير ممَّن وقع في الشِّرك وفي عبادة غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- إنَّما وقعوا في ذلك ظنًّا منهم أنَّ في

---

(١) سورة: البقرة، الآية (١٣٣).

(٢) من شعر المتنبي يمدح فيه أبا علي هارون الأوراجي الكاتب (ديوان المتنبي/ ص١٢٧، ط١٤٠٣ بيروت) قال:

وَنَدِيمُهُم وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

(٣)من كلام عجز بيت للمنبجي يقول في قصيدته اليتيمة في وصف شخص:

فَالوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مُبْيَضٌّ والشَّعْرُ مثلُ اللَّيْلِ مُسْوَدُّ

صِنْفَانِ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسُنَا وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

(٤) رواه البخاري في صحيحه (ح٣٦٠٦)، ومسلم (ح١٨٤٧).

(٥) ذكرَه بِهذَا اللَّفْظِ شَيخُ الإسلامِ في مواضِعَ منْ كتُبِه منها ما في الفتاوي (١٠/ ٣٠١)، وقدْ أخرجَ ابْنُ أبي شَيبَةَ في المصَنَّفِ (كتاب الفَضَائِلِ، باب منْ فَضْلِ العَرَبِ ٣٣٠١٢، ١١/ ٢٢٩ ط الرُّشْد) وغيرُه أثَرًا آخرَ عنهُ بِمَعْناهُ.

مَوْقِعُ التَّفْرِيغِ للدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَالبُحُوثِ الشَّرْعِيَّةِ
www.attafreegh.com
سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

هٰذا التَّوحيد، وأنَّ هٰذا الَّذي يقرِّب إلىٰ الله، وأنَّ هٰذا هو تعظيم الأولياء والصَّالحين كما أشار إلىٰ ذلك المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الرَّحمة الواسعة.

يقول في بيان ذلك: (**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّة مَا صَارَ**) من البعد عن عهد الرِّسالة واندثار آثار النُّبوَّة (**أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ**) أخزاه الله (**الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرُ فِي حَقِّهِم**) الآن في بعض البلاد الأجنبية ممَّن يعبد القبور ويسأل غير الله ويستغيث بغير الله ويطلب المدد والعون من غير الله، عندما تنهاه من ذلك وتقول له: هٰذا حرام، هٰذا شرك، هٰذا دعاء غير الله، هٰذا استغاثة بغير الله، عندما تنهاه عن ذلك يقول: أنتم لا تعظِّمون الأولياء ولا تعرفون مكانة الأولياء، أنتم تتنقَّصُون الأولياء، فأظهر لهم الشَّيطانُ الشِّرك بصورة تعظيم الأولياء والصَّالحين (**أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرُ فِي حَقِّهِم، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِم.**) فهم يظنُّون أنَّهم بدعائهم للوليّ متَّبعون لأمر الله منقادون لشرع الله وهم ليسوا كذلك.

فمسألة العقيدة مسألة عظيمة، ولهذا بدأ بها المؤلِّف - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالىٰ - وأشار إلىٰ عظم شأن هٰذه المسألة وجلالة قدْرها، بقوله: (**وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَـٰذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّة**) فهٰذا الأصل العظيم بُيِّن في القرآن من وجوه كثيرة وبأنواع كثيرة من الأدلَّة؛ بل إنَّ الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في آخر كتابه مدارج السَّالكين: (إنَّ القرآن من أوله إلىٰ آخره، من فاتحته إلىٰ خاتمته في بيان العقيدة الصَّحيحة)[1]. فهو إمَّا أمر بعبادة الله وإخلاص الدِّين له، وإمَّا بيان لأسمائه -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وصفاته، أو أمر بمعرفته تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، أو بيان لفضل أهل التَّوحيد وثمراتهم في الدُّنيا والآخرة، أو بيان لعقاب الشِّرك وعقاب أهله وخسارتهم في الدُّنيا والآخرة، أو بيان لأهل التَّوحيد في الجنة، أو بيان لعقاب أهل الشِّرك في النَّار. فالقرآن كلُّه من أوَّله إلىٰ آخره من بدايته إلىٰ خاتمته في بيان التَّوحيد، في بيان العقيدة الصَّحيحة التي جاءت في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

فأنا أُوصي نفْسِي الضَّعيفة المقصِّرة وأوصي إخواني في الله أن نُعنىٰ بهٰذا الأصل وأن نهتمَّ به الاهتمام الكبير ونتدارسه بيننا، ونقرأ الآيات والأحاديث التي بيَّنت هٰذا الأصل العظيم، ومن أنفع الكُتب في ذلك كتابين للإمام الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب وهما: كتاب التَّوحيد وكتاب الأصول الثَّلاثة، يُبدأ بكتاب الأصول الثَّلاثة ثم يُثنَّىٰ بكتاب التَّوحيد.

۞۞۞۞

---

(١) قال رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٥٦٢، ت: محمَّد حامد الفقي): والقرآن مملوء من هٰذا التَّوحيد والدَّعوة إليه وتعليق النَّجاة والسَّعادة به. وقال أيضًا (ص٥٨٣): وإذا تدبَّرت القرآن من أوَّله إلىٰ آخره رأيته يدور علىٰ هٰذا التَّوحيد وتقريره وحقوقه. اهـ

مَوْقِعُ التَّفْرِيغِ للدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَالبُحُوثِ الشَّرْعِيَّةِ
www.attafreegh.com

الْأَصْلُ الثَّانِي

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَىٰ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَـٰذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا [وَاخْتَلَفُوا](١) قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ(٢) أَنَّهُ أَمَرَ المُرْسَلِينَ(٣) بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ.

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ!

---

(١) زيادة من الجامع الفريد.

(٢) في الدُّرر السَّنية (وَاذْكُرْ).

(٣) في الجامع الفريد: (المُسْلِمِينَ).

الشَّـــرْحُ

الأصل الثَّاني الاجتماع؛ اجتماع الكَلِمَة ووحدة الصَّف علىٰ العقيدة الصَّحيحة والسُّنَّة القويمة، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(1)، فهٰذا الأصل الثَّاني أن يعتصم المُسلمون كلُّهم من أوَّلهم إلىٰ آخرهم بحبل الله، وحبل الله هو دين الله، حبل الله هو القرآن، حبل الله هو السُّنّة، فيعتصمُ المسلمون كلُّهم بدين الله، ويحذروا من كلِّ أمر يكون سببًا في فُرقتهم وانشقاق كلمتهم وتفرُّق صفِّهم، يحذروا من ذلك أشدَّ الحذر.

وإنَّ من أجمع الآيات المبيِّنة لأسباب الاجتماع واتِّحاد الصَّفِّ ووحدة الكلمة علىٰ ضوء الكتاب والسُّنَّة قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- في سورة الرُّوم وتأمَّلُوا معي رحمكم الله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ فهٰذه الآيات الكريمات من سورة الرُّوم اشتملت علىٰ ذكر أمور ستة، بالإتيان بها وتحقيقها والإتيان بها علىٰ أحسن وجه يحصل اتِّحاد الصَّفِّ واجتماع كلمة المُسلمين.

السَّبب الأوَّل: إقامة الوجه للدِّين ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ ﴾، إقامة الوجه للدِّين أن ينقاد ويستسلم العبدُ لأوامر الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ويكون منقادًا مطيعًا ممتثلًا لأمر ربِّه وأمر رسوله ﷺ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ ﴾ غير مائل وإنَّما مستقيمًا علىٰ أمر الله، مستقيمًا علىٰ ما جاء عن رسول الله ﷺ، فهٰذا سبب من أسباب الاجتماع.

السَّبب الثَّاني: في الآية في قوله تَعَالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فمن أسباب الفرقة والانشقاق الجهل بدين الله وعدم البَصيرة وعدم العلم، إذن من أسباب الاجتماع **العلم النَّافع** المأخوذ من كتاب الله وسنَّة رسوله الله ﷺ.

السَّبب الثّالث في هٰذه الآية الكريمة في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ والإنابة هي الرُّجوع إلىٰ

(1) سورة: آل عمران، الآية (١٠٣).

الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، فالمسلم رجَّاع إلىٰ الحقّ؛ لأنَّ هدفه رضا الله، وغايته مرضاته تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، فهو رجَّاع، والإنابة هي الرُّجوع ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾[1] الإنابة هي الرُّجوع، فمن أسباب الاجتماع أنَّ من كان منه خطأ أو غلط فإنَّ عليه أن يرجع إلىٰ الحقِّ الذي دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

السَّبب الرَّابع: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ هٰذا السبب الرابع من أسباب الاجتماع تقوىٰ الله تَعَالىٰ؛ أن يراقب الإنسان ربه « **اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ** »[2] أن يتقي الله في نفسه في والده وفي ولده وفي أهل بيته وفي المسلمين، يتَّقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، « **اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ**» فإنَّ من أسباب الاجتماع تقوىٰ الله، مراقبة الله في السِّر والعلن، في الغيب والشَّهادة، في الخلوة والظُّهور، في كلِّ وقت يراقب الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

السَّبب الخامس: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقامة الصَّلاة، وهٰذا سبب عظيم من أسباب الاجتماع وأُلفة القلوب واتِّحاد الكلمة، أن يجتمع المسلمون في بيوت الله للصَّلاة وذكر الله، كما قال تَعَالىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[3] فمن أعظم الأسباب المُعينة علىٰ الاجتماع المحافظة علىٰ الصَّلوات وأداؤها جماعة، كما قال تَعَالىٰ: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4].

ولهٰذا -يا إخوان- إذا كُنت محافظًا علىٰ الصَّلاة مع جماعة المُسلمين وكان لك جار لا يصلِّي تجد بينك وبينه وحشة ونُفرة وعدم إجماع، أمّا إذا جئت إلىٰ المسجد ورأيت المصلِّين ورأيت المحافظة علىٰ الصَّلاة ولو كان بيته عن بيتك أبعد ما يكون تجد قلبك يحبه ويأنس به ويرتاح له، فالصَّلاة في بيوت الله تجمع وتؤلِّف القُلوب.

ولهٰذا من أسباب الاجتماع المحافظة علىٰ الصَّلوات الخمس جماعة في بيوت الله كما أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بذلك ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

السَّبب السَّادس: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهٰذا من أعظم الأسباب المفرِّقة للصَّف لأنَّ من يقع -عياذًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في الشِّرك في عبادة غير الله خرج من الإسلام ولم يصبح مسلمًا، ولا يجوز لمسلم أن يحبَّه؛ بل يجب علىٰ كل مسلم أن يُبغضه في الله وأن يعاديه وأن يتبرَّأ منه،

---

(١) سورة: الزُّمر، الآية (٥٤).

(٢) أخرجه التِّرمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ح١٩٨٧)، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) سورة: النور.

(٤) سورة: البقرة.

فالشِّرك عبادة غير الله وصرف العبادة لغير الله من أعظم الأسباب التي تفرِّق الصَّف.

فهٰذه الآية الكريمة اشتملت علىٰ ستة أسباب عظيمة لجمع كلمة المُسلمين، ولا يمكن أن يكون اجتماع وأُلفة واتِّفاق إلَّا إذا كان الجميع مصدرهم واحد ومنبعهم واحد ومتلقَّاهم واحد: كتاب الله وسنة رسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أمَّا إن كانت المصادر متفرِّقة فإنَّ الافتراق حاصل ولابد والشِّقاق كائن ولابد، ولهٰذا يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في حديث العرباض بن سارية: « **فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** »[1] يعني: سيرىٰ فُرقة، وسيرىٰ شقاقا وتدابر وتطاحن وكأنَّه قيل: ما المخرج يا رسول الله عندما نرىٰ هٰذا الاختلاف؟ فأجاب رسول الله -ﷺ- دون أن يسأل فقال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.**»، هٰذا الحديث العظيم -حديث العرباض بن سارية- فيه دلالة علىٰ أنَّ المَخرج من الفتنة والمَخرج من الفُرقة لا يكون إلَّا بتحقيق أصلين عظيمين:

الأوَّل: لزوم السُّنة.

والثَّاني: مجانبة البدعة.

قال ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وكل ضلالة في النار**» فإذا ترك الإنسانُ السُّنَّةَ أو وقع في البدعة شقَّ صفَّ المسلمين وفرّق كلمتهم، فاتِّحادهم واجتماع صفِّهم إنَّما يكون بلزوم سنَّة الرَّسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- والحذر والبعد من البدع والأهواء.

المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا أشار إلىٰ هٰذا الأصل العظيم قال: (**فَبَيَّنَ اللهُ هَـٰذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُرْسَلِينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ.**) يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[2] فهٰذا شيء أوصىٰ الله به الأنبياء والمرسلين أن يقيموا الدِّين وأن لا يتفرَّقوا في دين الله، وأيُّ إنسان حصل منه خطأ أو تقصير عليه أن يعود إلىٰ كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ لتأتلف القُلوب وتجتمع الكلمة.

---

(١) أخرجه التِّرمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٢٦٧٦)، وأبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٤٦٠٧)، وابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٢)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء (٢٤٥٥).

(٢) سورة الشورىٰ، الآية (١٣).

المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ يقول رغم أن هٰذه الأصول بيَّنها الله البيان الوافي الشَّافي الكَافي مع ذلك يقول: **(ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ)** نسأل اللهَ السَّلامة **(وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ!)** ماذا يقصد؟ الاجتماع في الدِّين؛ لأنَّ المطلوب منَّا ليس مُطلق الاجتماع! المطلوب منَّا أن نجتمع في الدِّين ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾[1] فالمطلوب أن نجتمع في دين الله علىٰ كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول فأصبح الدَّاعية إلىٰ الكتاب والسُّنَّة عند بعض النَّاس -وهو يشير إلىٰ أناس أُغرقوا في الجهل- يقول: أصبح الأمر عند هـٰؤلاء لا يكون إلَّا من زنديق أو مجنون، ويُعجبون بالإنسان يتكلَّم بكلام قد كون سببًا لفرقة الكلمة وتمزُّقها.

۞۞۞۞

(١) سورة: آل عمران، الآية (١٣).

الْأَصْلُ الثَّالِثُ

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَبَيَّنَ اللهُ[1] هَـٰذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا[2]، بِوُجُوهٍ[3] مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا.

ثُمَّ صَارَ هَـٰذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

---

(١) في الجامع الفريد: (النَّبِيُّ ﷺ).

(٢) في الجامع الفريد: (شَائِعًا ذائِعًا).

(٣) في الجامع الفريد: (بِكُلِّ وَجْهٍ).

مَوْقِعُ التَّفْرِيغِ
للدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَالبُحُوثِ الشَّرْعِيَّةِ
www.attafreegh.com
سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

الشَّـــــرْحُ

هٰذا الأصل العظيم الذي أشار إليه المُؤلف هو كما قال بيَّنه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في كتابه وبيَّنه الرَّسول الكريم ﷺ في سنَّته بيانًا شافيًا وافيًا يفهمه عوامّ المسلمين، **(السَّمْع وَالطَّاعَة لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا)** ولهٰذا نجد أنَّ هٰذا الأصل -الذي يشير إليه المؤلِّف- لأهميته ما من كتاب كُتِب العقيدة الجامعة لأهل السُّنّة وإلَّا وضُمِّن هٰذا الأصل العظيم **(السَّمْع وَالطَّاعَة لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا)** وجاء في أحاديث أخرىٰ أنَّ السَّمع والطَّاعة يكون في المعروف وأنَّه لا سمع لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وجاء في السُّنَّة ضوابط كثيرة وأصول عديدة تتعلَّق بموقف المسلم كيف يكون من ولي أمره.

ويكفي المُسلم في ذلك أن يقرأ (كتابَ الإمَارة) من صَحيح مسلم، وينبغي لنا هنا -إخواني- أن ننطلق في مثل هٰذا الموضُوع وفي كلِّ موضوع من السُّنّة ومن القرآن؛ لأنَّ من لم يعتنِ بهٰذا الأصل أو فارق هٰذا الأصل فإنَّه يجد في نفسه حرجًا من الأحاديث الكثيرة المتعلِّقة بهٰذا الموضوع، وربَّما يجد كراهية لتلك الأحاديث؛ بل بعض النَّاس قد يصرِّح ويقول: لماذا هٰذه الأحاديث؟ هٰذا كلام الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- !! بلَّغها الصحابة، وجاء في الأحاديث الصَّحيحة، فينبغي أن ننطلق في كلِّ دقيقة وجليلة، في كلِّ صغير وكبير من دين الله من حديث الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

من الموافقات العجيبة أنّ هٰذه الأصول الثَّلاثة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- الأمر بالإخلاص.
- ثمّ: الاجتماع، والنَّهي عن الفُرقة.
- ثمّ: السَّمع والطَّاعة.

هٰذه الأصول الثّلاثة علىٰ نفس النَّسق التي ذكرها المصنِّف جاءت في حديث في صحيح مسلم عن النَّبي ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،**

وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ »[1] هٰذه نفس الأصول الثلاثة التي ذكرها المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ، هنا جاءت علىٰ نسق واحد في صحيح مسلم.

وجاءت في حديث آخر في السنن علىٰ ما أذكر عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ**» لا يحقد «**عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ**»[2] هٰذه الأصول الثلاثة نفسها.

ولنتأمَّل في قوله ﷺ: « **ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ** » معنىٰ: « **لَا يُغِلُّ** »: لا يحقد، قلب المسلم لا يغل علىٰ هٰذه الأمور الثلاثة، قلبه لا يجد كراهية لهٰذه الأمور الثَّلاثة، هكذا يقول الرَّسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: قلبه لا يجد كراهية لهٰذه الأمور الثلاثة.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ جمع بين هٰذين الحديثين فقال: (فإذا كان الله رضيها لنا فكيف يغل قلب المسلم عليها)[3] ، كيف يجد المسلم كراهية منها؟ فهٰذه أصول عظيمة ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ وهي علىٰ نفس النَّسق الَّذي ذكر المصنِّف جاءت في جملة من أحاديث الرَّسول الكريم ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (ح١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس فيه «**وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ**»، وهي عند أحمد في المسند (ح٨٧٨٥)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه (ح٣٠٥٦) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصحَّحه الشَّيخ الألباني في الصَّحيحة (ح٤٠٤).

(٣) .....

مَوْقِعُ التَّفْرِيغِ
لِلدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَالبُحُوثِ الشَّرْعِيَّةِ
www.attafreegh.com
سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

الْأَصْلُ الرَّابِعُ

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، والْفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ؛ وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ؛ وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- هَٰذَا الْأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾[1]، إِلَىٰ قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[2]، الآيَة.

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَٰذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الْبَيِّنِ الوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ البَلِيدِ.

ثُمَّ صَارَ هَٰذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ ! وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُم: لَبْسُ الْحَقِّ بِالبَاطِلِ! وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَىٰ الْخَلْقِ وَمَدْحُهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ! وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَجَدَّ[3] فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَالنَّهْيِ عَنْهُ، هُوَ الفَقِيهُ الْعَالِمُ !!

---

(١) الآية (٤٠).

(٢) الآية (١٢٢).

(٣) في الجامع الفريد (وَصَنَّفَ).

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

الشَّـــرْحُ

أراد المصنِّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرَّحمة الواسعة- أن ينبِّه بهٰذا الأصل العظيم من هُم العلماء ومن هم الفقهاء وما هو العلم وما هو الفقه.

وأرشد إلىٰ أنَّ هٰذا الأمر جاء بيانه بيانًا شافيًا كافيًا في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

فالعلم النَّافع والفقه الصَّحيح هو المأخوذ من الكتاب والسُّنَّة، والعالم الفقيه هو المُتضلِّع في نصوص الكتاب والسُّنَّة، فهٰؤلاء هم العُلماء وهم الذين تؤخذ أقوالهم ويستفاد من علمهم وأقوالهم، تجدهم دائمًا مرتبطين بالقرآن والحديث، قال الله قال رسول الله ﷺ، فالذي يرتبط بالقرآن والحديث هو الذي يؤخذ كلامه ويؤخذ بقوله؛ لأنَّه مرتبط بكلام الله وكلام رسوله ﷺ، ولهٰذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلَّا صاحب هٰذا القبر) يعني رسول الله ﷺ، ويقول شيخ الإسلام: (من فارق الدَّليل ضلَّ السَّبيل، ولا دليل إلَّا بما جاء به الرَّسول ﷺ)[1] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: (كلٌّ يحتج لقوله لا به إلَّا الله ورسوله)[2].

فالشَّاهد أنَّ العلماء والفُقهاء حقيقةً هم الَّذين يأخذون علمهم من كتاب ربِّهم وسنَّة رسوله ﷺ، وأمارة هٰذا واضحة وعلامته ظاهرة لكلِّ مسلم حتىٰ لعوام المُسلمين تجد الرَّجل دائمًا منطلقٌ في كلامه من الآية والحديث، ولهٰذا يكثر في كلامه قال الله وقال رسوله ﷺ.

بعض أهل البدع يحذِّر ممن منهجه كذلك، وأنا سأذكر لكم قصَّة لطيفة مُفيدة في هٰذا الأمر:

أحد الطَّلبة الذين جاؤوا من الهند للدِّراسة في هٰذه البلاد، كان في بلده متصوفا وغارقا في الصُّوفية، بعد أن منَّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عليه بالهداية قال لي مرّة: لقد قال لنا علماؤنا هناك: احذروا الوهَّابية، واحذروا عقيدتهم، فإنَّهم كذا وكذا وكذا وأخذ يذكر كلامًا من هٰذا القبيل، وقالوا لنا: انتبهوا! لهم علامة واضحة حتىٰ تحذروا من هٰؤلاء! دائما يقولون: قال الله قال الرّسول! انتبهوا لا يخدعكم هٰؤلاء! فيأتي

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السَّالكين (ج٢/ ص١٧٤): ومن فارق الدَّليل ضلَّ سواء السَّبيل ولا دليل إلىٰ الله والجنَّة سوىٰ الكتاب والسُّنَّة.

(٢) نقله عنه تلميذه الحافظ البزّار في الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا من دعاوىٰ المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٥٢) للدكتور عبد الله بن صالح الغصن.

المسكين إلىٰ مثل هٰذه البلاد ويسمع آيات وأحاديث، يقول: فعلا ما عندهم إلَّا آيات وأحاديث يخدعون النَّاس، فتُصبح الآية والحديث لا يتكلَّم بها إلَّا المُبغض لهٰذا الدِّين أو المعادي لهٰذا الدِّين أو المفسد لهٰذا الدِّين، فيحذَّرون بمثل هٰذه الأساليب. انتبه لا يخدعك! دائما يقول: قال الله قال الرَّسول، ففعلًا يأتي الشَّاب ويأتي الصَّغير ويسمع آيات وأحاديث فيعرض عنها ويصمّ آذانه عن سماعها حتىٰ لا ينحرف عن الدِّين الذي عليه الآباء والأجداد.

العلماء والفقهاء هم الَّذين ينطلقون فيما يأتون ويذرون من كلام الله وكلام رسول الله ﷺ.

الْأَصْلُ الْخَامِسُ

بَيَانُ اللهِ -سُبْحَانَهُ- لِلْأَوْلِيَاءِ(١)، وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِ(٢) الْمُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ؛ وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَة فِي سُورَةِ آلِ عُمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٣) الْآيَة، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٤) الْآيَة، وَآيَةٌ فِي سُورَةِ يُونُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ، وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ، إِلَىٰ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ(٥)، وَمَنْ اتَّبِعَهُ(٦) فَلَيْسَ مِنْهُمْ! [وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ! فَمَنْ تَقَيَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، فَلَيْسَ مِنْهُم!](٧) يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

---

(١) في الجَامع الفريد: (لأَوْلِيَاءِ اللهِ).

(٢) في الجَامع الفريد: (أَعْدَاءِ اللهِ).

(٣) الآية (٣١).

(٤) الآية (٥٤).

(٥) في الجامع الفريد: (الرُّسُل).

(٦) في الجامع الفريد: (تَبِعَهُم).

(٧) سقطت من الجامع الفريد.

الشَّـــرْحُ

هٰذا الأصل الخامس من هٰذه الأصول التي بيَّنها المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو بيان الله سبحانه للأولياء وتفريقه بينهم وبين المتشبِّه بهم من أعدائهم المنافقين والفجار.

من هو الولي؟ ومن هم الأولياء؟

هٰذا الأمر كما بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ جاء بيانه في القرآن وإيضاحه البيان الشَّافي والتَّوضيح الكافي الذي يفهمه حتىٰ العوام، ولم يأتِ في ذلك إلَّا قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ لكفىٰ، ولهٰذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (من كان مؤمنا تقيًّا كان لله وليًّا)، فالمؤمن التَّقي هو الولي، الذي جمع بين الإيمان والتَّقوىٰ، وعندما يجمع بين الإيمان والتقوىٰ فيكون المراد بالإيمان فعل الأوامر والتقرُّب إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بما يحبُّه ويرضاه.

والمقصود بالتَّقوىٰ ترك النَّواهي والبعد عمَّا يسخط الله ويأباه.

فهٰذه هي الوَلاية، وهٰذا هو الوليُّ، الولي الذي يفعل أوامر الله وينتهي عمّا نهىٰ الله عنه؛ ولٰكن لمَّا بعُد العهد وانتشر الجهل وكثر الضَّلال، أصبح الولي! يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (**ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ، وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ، إِلَىٰ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَمَنْ اتَّبعَهُ فَلَيْسَ مِنْهُمْ!**) ولهٰذا إذا كان العالم متمسِّكًا بالكتاب والسُّنَّة لا يقيم له وزنًا، ولا يعدُّه من أولياء الله المتَّقين، وهٰذا يكثر في المتصوِّفة ولاسيما غلاتهم تجد الواحد منهم يترك الشَّرع ويترك الانقياد لأوامر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وأوامر رسوله ﷺ ويكون عند أتباعه هو الوليّ، ويترك الإيمان ويترك التَّقوىٰ ويترك الجهاد في سبيل الله، ويكون عند أتباعه هو الوليّ ومن خالفه هو العدو وليس من أولياء الله.

وهٰذا أصل أراد منه المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أن لا ينخدع النَّاس ولاسيّما بما يكثر عند المتصوفة من تعظيم أشخاصٍ ورفع لمكانتهم وغلو فيهم إلىٰ درجة العبادة، ويسمُّون هٰؤلاء أولياء، ثمّ يرتقي بهم الحال إلىٰ عبادة هٰؤلاء من دون الله وتعظيمهم مثل تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالأولياء هم المؤمنون الأتقياء، الذي يحافظ علىٰ أوامر الله، وينتهي عن نواهي الله هو من أولياء الله، بشرط أن يكون ملتزمًا بفعل الأوامر وترك النَّواهي.

❁❁❁❁

الأَصْلُ السَّادِسُ

رَدُّ الشُّبْهةِ[1] الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ، فِي تَرْكِ القُرْآنِ وَالسُّنَّة، وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ وَهِيَ[2] أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ؛ وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ: الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ!

فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لاشَكَّ وَلا إِشْكَالَ فِيهِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا!! فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ: [كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ][3] هَٰذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ، بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ[4] الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[5]، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾[6].

[آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.][7]

---

(١) في الجامع الفريد: (السُّنَّة).

(٢) في الجامع الفريد زيادة: (أي: السُّنَّة التي وضعها الشَّيْطَانُ، وهيَ).

(٣) سقطت من الجامع الفريد، وفي مكانها: (والأمر يردُّ).

(٤) في الجامع الفريد: (أمْرٍ).

(٥) سورة: الأعراف، الآية (١٨٧).

(٦) سورة: يس.

(٧) زيادة من الجامع الفريد.

الشَّــــرْحُ

انتهت هـٰذه الأصول بهـٰذه الآية الكريمة، ختمها برد شبهة خبيثة أراد أهلها منها أن يحولوا بين المسلمين وبين كتاب الله، وبنوا ذلك علىٰ مقدِّمتين أشار إليهما المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ :

المقدِّمة الأولىٰ: لا يقرأ القرآن ولا يتدبَّر القرآن إلَّا مجتهد.

المقدِّمة الثَّانية: لا يوجد في زماننا مجتهدين.

النَّتيجة ما هي؟

لا أحد يتدبّر القرآن.

الأمر الأول: لا يقرأ ويتدبّر القرآن إلا مجتهد.

الأمر الثاني: لا يوجد في زماننا مجتهدين؛ لأن أوصاف المجتهدين هي كيت وكيت، مما لا يكون متوفِّرًا علىٰ التمام والكمال في أبي بكر وعمر.

ثم ينتج من هاتين المقدمتين ترك قراءة القرآن وتدبر القرآن وترك قراءة السنة وتدبر السنة.

وهـٰذه شبهة خطيرة جدًّا ومن أحسن من كتب فيما أعلم نقد هـٰذا الكلام الشَّيخ محمد الأمين الشَّنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كتابه أضواء البيان في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾(١) هـٰذا خوطب به الكفار، قيل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فكيف يُمنع المؤمنون عباد الله من قراءة القرآن وتدبُّره!

فهـٰذه شبهة جاء بها دُعاة الضَّلالة ليحولوا بين النَّاس وبين قراءة كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ.

وختم بهـٰذه الآية من سورة يٰس ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ ليبيِّن أنَّ النَّاس قسمان:

قسم اتبع الذِّكر، وعمل بالذِّكر -القرآن والسنة- امتثل أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، هـٰذا تفيده النَّذارة، وهـٰذا يستفيد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قسم ثانٍ لا يفقهون ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

---

(١) سورة: محمَّد ﷺ.

فهٰذا قسم وهٰذا قسم.

قسم علموا بالكتاب والسُّنَّة وعملوا بها.

وقسم أعرضوا عن الكتاب والسُّنَّة ولم يعملوا بهما.

هٰذا وفي الختام أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا أن يجزي هٰذا الإمام شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هٰذه الأصول السِّتّة التي جمعها أوفر الجزاء وأعظمه وعلىٰ ما جمعه في كتبه الأخرىٰ ومؤلفاته العديدة التي حرص فيها علىٰ نشر العقيدة وبيان السُّنَّة وتوضيحها وشرحها.

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجزيه عنها وعن المسلمين خير الجزاء، وأن يجعله في جنات عدن في الفردوس الأعلىٰ، وأن يجمعنا وإياه في جنّة عدن إنّه سميع مجيب، وأن نفعنا وإيَّاكم بما نقول ونسمع، والله أعلم، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك وأنعم علىٰ عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

الفهرس

مُقــدِّمَة الشَّــارِح ٥
المُقدِّمَـــة ٩
الشَّــرْحُ ١٠
الْأَصْلُ الْأَوَّل: إخلاص الدين لله ١١
الشَّــرْحُ ١٢
الْأَصْلُ الثَّانِي: الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق ١٥
الشَّــرْحُ ١٦
الْأَصْلُ الثَّالِثُ: السَّمع والطاعة لمن تأمر علينا ٢٠
الشَّــرْحُ ٢١
الْأَصْلُ الرَّابعُ: بيان العلم والعلماء ومن تشبه بهم ٢٣
الشَّــرْحُ ٢٤
الْأَصْلُ الْخَامِسُ: بيان أولياء الله وأولياء غيره ٢٦
الشَّــرْحُ ٢٧
الْأَصْلُ السَّادِسُ: بيان شبهة شيطانية لترك الكتاب والسنة ٢٨
الشَّــرْحُ ٢٩
الفهرس ٣١